

الروح الساهرة

بقلم حضرة الكاتب الاديب حنا افندي صاوه

كانت السماء مريدة والمطر يتساقط هتافاً فيصيب زجاج نوافذ غرفة من منزل في احد احياء باريس كان فيها خمسة عشر رجلاً يتعاطون كوؤوس الراح ويشربون نخب بعضهم وكان القائد راعول دانتيغال وهو رب البيت قد دعاهم الى وليمة اقامها احتفالاً بقرانه الذي سيعقد بعد عشرة ايام من هذا اليوم وكان بين هؤلاء المدعوين راهب وقاض وكلهم عالمون بان راعول يحب خطيبته اشد حب وانه تعرفها منذ سنة ثم سمى حتى نال يدها وكان مثيراً فانت منزله اثناً جميلاً فبينما هم كما اشرنا انبأهم خادم بان المائدة هيئت فشربوا كوؤوسهم للمرة الاخيرة ثم اتجهوا نحو غرفة الطعام حيث جلسوا حول المائدة وطفقوا ياكلون وهم يمازحون وكان الليل قد ارخى سدوله وتبددت الغيوم فانكشفت السماء وظهر البدر والكواكب فلما ان تركوا المائدة عادوا الى غرفة الاستقبال وجعلوا يدخلون ويتسامرون غير انهم لم يلبثوا حتى كفوا بفته عن الحديث واصاخوا الى دوي صادر من الطريق ثم قال احدهم ما هذا

فاجاب القاضي انني اسمع صوت جرس فضي كالذي يحمله الرهبان متى كانوا ذاهبين لعيادة مريض اشرف على الموت. فقال الراهب وكأني به قد وقف امام باب المنزل الخارجي فما معنى ذلك فنظروا الى بعضهم حيارى وللاجين ظهر خادم انبأ قائده بان بالباب راهباً يريد مواجهته فدهش وقال لعله ضال فقل له اننا غير محتاجين اليه فصاح رفقاًؤه بل دعه يدخل لنقف على امره فاطرق راعول هنيهة ثم قال للخادم حسن فقل له ان يأتي فانصرف الخادم ولم يعم حتى دخل الراهب وهو يقول عفواً يا احبابي اذا شويست اجتماعكم ثم التفت الى راعول وقال ا انت القائد راعول دانتيغال فاجاب نعم قال فاذن قد عثرت بضاتي فبهت راعول وقال مستهتماً ضالتك اجاب نعم لانني كنت ابحت عنك قال وما داعي ذلك قال هو مهمة انيطت بي قال ومن المنيط قال امرأة فصاح ا امرأة تقول قال نعم وانت ستزوج قال هذا عزمي قال حسن فهذه المرأة قد ارسلتني اليك كي اسمع اعترافك فضحك المدعوون بيد ان راعول امسك عن الاقتداء بهم احتراماً لهيئة الراهب الرزينة الوقورة وقال ومن هذه المرأة قال انك تريد ان تعرفها ولكنني قوبلت بما يلجئني الى عدم الاباحة بشيء قال ان اصدقائي ضحكوا لعلمهم بان لا صلة لي مع اية امرأة وانني اطلب اليك ان تخبرني بخبر من ارسلتك قال انني اجهل من هي وقد كنت محتفلاً بقداس ثم هممت بالخروج من المعبد فتصدت لي سيدة مقنعة ومرتدية ثوباً ثميناً يزينه فرو ووقالت لي اسرع وعرف ثم قرب القائد راعول دانتيغال القاطن بحي لا فاييت وان الامر يستدعي هذه السرعة لانني ايت يائسة اذا مات بدون ان يتقرب. فدخلت

الى المعبد وحملت الكأس المقدسة ثم خرجت فرأيت السيدة لم تبرح مكانها فكأنها ظلت واقفة حتى تنق بقيامي بما طلبت . وكانت ازاحت قناعها فشكلت اليها متحققاً هيئتها فاذا هي

وفي هذه المنية فتح الخادم باب غرفة اخرى فلاحت للراهب صورة كبيرة في الجدار تمثل امرأة غاية في الجمال

فصاح الراهب مأخوذاً ثم اشار اليها وقال فاذا هي تشبه هذه الصورة من كل وجه فدهش راعول وقال ان هذه الصورة لصورة امي قال فتلك السيدة كانت امك اذن فارتسمت آية الحزن على وجه القائد وقال ولكن امي ماتت منذ مدة فارتبك الراهب وظل محمداً الى الصورة بدون ان يفوه بكلمة فدفعه راعول داخل الغرفة ثم اوقفه ازاء الصورة وقال انظر . حتى هل كلامك حقيقي من حيث الشبه قال نعم يا ولدي ولا يوجد اقل فرق وان المصور قد اتقن رسم القرو الذي اراه في الصورة لانه نفس القرو الذي كان على كتفي من ارسلتي اليك فبهت راعول وتتم قائلاً اني وضعت هذا القرو في تابوتها حين نقلها اليه فما هذه الحال يا الهي

وكان المدعوون قد اجتمعوا بباب الغرفة فقال لهم راعول ان الحادثة لغريبة يا سادة فاجابه احدهم ويدعي بريفوت اني اخال انها روحانية يا راعول قال سواء كانت روحانية او غير روحانية اصيخوا الي لا قص عليكم ذكرى ما برحت من بالي ولن تبرح منه قط

ماتت امي في نضارة عمرها وجمال صباها وكانت ترملت فخصتني بانعطافاتها كلها وكانت ورعة تقية تستجلي عواقب كل امر وتقرأ في ذهني ما كنت اريد فعله حتي انها كثيراً ما حذرتني من مشروعات كنت اعزم

على القيام بها فاعدل عنها والحق يقال انني اشعر منذ موتها بشدة فقري الى مثل هذا الارشاد

فقال بريفوت لعل كل ذلك كان يتهيأ لك تهيؤاً لانك كنت تحترمها احتراماً ما بعده احترام قال ربما فاسمع تمة كلامي

وانني ذاكر قولها لي في آخر ساعة من ساعات حياتها وهو انني مفارقتك يا ولدي ولكن هذا القراق ظاهري في الواقع اذ ان روعي الخالدة ستظل معك ساهرة عليك منقذة اياك من كل سوء ولما كنت لا ارغب في انك تعاني آلاماً في هذا العالم فاني اطلب الى الله ان يدعوك الى علاه قبل وقوعك في مصيبة من مصائب الحياة . فاذا كانت والدتي ظهرت الراهب فعلا وارسلته اليّ فذلك لان غيوماً كثيفة تتجمع في سماء حياتي وستنقض منها صاعقة ولكنها لا تصيبني لانني لا اكون وقشداً حياً

فقال بريفوت انك تناوت طعاماً كثيراً يا راعول واري ان عسر الهضم فعل معك فعلاً عظيماً

ثم التفت الى الراهب وقال اما انت يا ابت فاذا انتدبت مرة لسماع اعترافي وكان المنتدب : بجاً فاني ارجو منك ان تتصل من القيام بهذا الامر لانني سانبئ ذوي بان يقولوا لك دائماً انني متغيب

فجبل الراهب المسكين ثم شخص الى الجميع وقال يسؤني جداً تكدير وقت صفائكم يا سادة واري ان المسيو راعول غير محتاج الي فيها انا منصرف عنكم فصاح راعول كلا بل ابق بل تعال معي الى غرفتي لتتم واجباً مقدساً لا يشينني عنه مزح بريفوت ولا ضحك رفقائي

ثم اخذ الراهب من يده وذهب به الى غرفة نومه

فلبث المدعوون مبهورين وقد آلوا على انفسهم ان لا ينصرفوا حتى يقفوا على ما يتم

وبعد مضي ساعة دخل عليهم الخادم وقال لهم ان راعول اصابه ضعف وهو يعتذر لهم لانه لم يتمكن من موافاتهم

فقال بريفوت حسن . حسن فقل له ان لا يزعج ذاته بالافتكار فينا واننا لقابلون عذره ثم التفت الى بقية المدعوين وقال لهم انكم يمكنكم ان تمكثوا اذا اردتم وتنصرفوا ان شئتم اما انا فباق هنا لاسهر على راعول قالوا ونحن ايضا قال حسن فعلى كل . منا ان يصرف عنده ساعة

وكان راعول قد توسد فراشه ونام . وكانت تنفساته معتدلة ووجهه هادئا غير ان شففيه كانتا تتحركان بين حين وآخر كن يحلم

ودقت الساعة الثالثة بعد نصف الليل

فاندفعت ريح عاصفة والتحفت السماء بالسحب فاحتجب البدر واختفت الكواكب

وحان دور سهر بريفوت . وكان متشوقا الى معرفة ما اذا كان سيجد شيئا . فجلس في جانب الفراش وهو لا يتنخل ابانظاره عن وجه صديقه . وكان هذا اخذ يتقلب وقد اضطربت تنفساته وابدى فجأة حركات اغتصابية عنيفة ثم هدا وانفتحت عيناه وكانتا جامدتين

وكان بريفوت قد انتصب واقفا وهو يضطرب اضطرابا شديدا فلم ير ان صديقه هدا حتى صاح بصوت ابح . راعول راعول . ماذا حل بك . تريد شيئا اتويد ان . . . ثم قطع كلامه فجأة وصاح صيحة مزعجة لرؤيا رهيبة تمثلت له

ثم جلس على مقعد خائر القوى وقد اخذ منه الذعر كل مأخذ غير انه لم يخف ما حل به حتى انتصب ثالية بوجه مكفهر وعينين شاردين ثم اندفع خارجا كمشعوذ وهو يصيح الي الي يا رفيقائي فراعول قد مات

فهرعوا اليه مبهورين واستفسر روه ما وقع . ولكنه ما كان يسمع لهم قولاً بل جعل يصيح وقد شاهدتها شاهدت والدته وقد دخلت علينا بملابسها المصورة بها ثم اغمضت عيني ولدها بيديها واختفت . ففرعوا ودخلوا الى غرفة راعول فوجدوا انه جثة

.

حدث في صباح اليوم التالي ان الاهلين كانوا يتناقلون نبأ موت راعول والجزع مستحوذ عليهم بيد انهم لم يعتصموا حتى تلقوا نبأ آخر ضاعف جزعهم وجعل التذمر يتولد بانفسهم وهو ان خطيبة راعول فرت مع . هذب لها وكانت تعشقه

فتذكر حينئذ اصدقاء راعول ما رواه لهم عن والدته وداخل بريفوت توبخ الضمير على عدم تصديقه ما ذكر فقال لقد مات المسكين وموته هذا انقذه من عذاب ابدي ولعل اليأس كان يتمكن منه فينتحر الا ان روح والدته الساهرة خلصته من العذاب واليأس والانتحار

